

الفردانية : قراءة في المفهوم والتمظهرات Individuality: reading in concept and manifestations

خروبي مفيدة

جامعة ورقلة (الجزائر)

Etud2013moufida@gmail.com

ملخص:	معلومات المقال
<p>عرفت المجتمعات الغربية تطورات إجتماعية وثقافية و تكنولوجية متسارعة رافقتها تغيرات جذرية على مستوى البنى المؤسساتية، التي عملت على تفكيكها وإعادة صياغتها بما يتماشى و طبيعة هذه التغيرات، تميزت هذه المرحلة بإنفلات الفرد من كل الحتميات الإجتماعية الدينية و الأخلاقية، ليصبح فيما بعد مصدرا للقيم التي تمجد الفردية و تقوم على المنافسة و الحرية المطلقة وتحقيق الرغبات المادية و الجنسية، و تعرف المرحلة في أدبيات التراث السوسولوجي بالفردانية. جاءت الورقة البحثية كمحاولة لتحديد مفهوم هذه الظاهرة وطبيعتها، كما تم التطرق إلى أهم تمظهراتها في المجتمعات الغربية والمتمثلة في تفكك الأسرة و إنحلالها بالإضافة إلى أهم مظاهر التشيؤ التي يجسدها الإنسان ذو البعد الواحد، و الإستهلاك الترفي المنفصل عن القيمة، وكذا الجنس الحر وغيرها من المظاهر.</p>	<p>تاريخ الارسال: 2022/04/28 تاريخ القبول: 2022/07/30</p> <p>الكلمات المفتاحية:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ الفردانية ✓ الفرد ✓ القيم الاجتماعية
Abstract :	Article info
<p>Western societies have experienced rapid social, cultural, and technological advancements, which have brought about significant changes in institutional structures. These changes aimed to dismantle and reformulate these structures to align with the nature of these transformations. The dominant ideology in this context is individualism, characterized by competition, absolute freedom, and the pursuit of material and sexual desires. This phenomenon is widely discussed in sociological literature as individualism. This paper aims to define the concept and nature of this phenomenon, as well as highlight its key manifestations in Western societies. These manifestations include the breakdown and dissolution of the family unit, the objectification of individuals resulting in a one-dimensional existence, the prevalence of luxury consumption detached from intrinsic value, and the normalization of free sexual relationships, among others.</p>	<p>Received :28/04/2022 Accepted :30/07/2022</p> <p>Keywords:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ Individuality ✓ The individual ✓ Social Values

❖ **مقدمة:** عرفت المجتمعات الغربية تطورات اجتماعية وثقافية متسارعة رافقتها تغيرات جذرية على مستوى البنى المؤسساتية، التي عملت على تفكيكها وإعادة صياغتها بما يتماشى وطبيعة هذه التغيرات، تميزت هذه المرحلة بانفلات الفرد من كل الحتميات الاجتماعية الدينية والأخلاقية، ليصبح فيما بعد مصدرا للقيم التي تمجد الفردية وتقوم على المنافسة والحرية المطلقة وتحقيق الرغبات المادية والجنسية.

كما عرف القرن العشرين ثورة معرفية، تكنولوجية، غير مسبوقة، من أهم إفرزاتها بروز الإعلام الجديد، كملح للمرحلة، وسهولة في إنتاج واستهلاك التقنية، كما أنها أصبحت متاحة للجميع، دون إستثناء، لتتحول بعد ذلك إلى ضرورة ملحة، وحتمية اجتماعية، وقد تميزت مختلف المضامين، التي يبثها ويروج لها الإعلام الجديد، بإفراغها وتجريدها من محتواها القيمي، لتتنافى بذلك مع قيم المجتمعات الإنسانية وأخلاقياتها، كما تتميز بتجاوزها لعاملي الزمان والمكان وتخطيها للحدود الجغرافية والثقافية، وهي تسعى بذلك إلى تجسيد مفهوم القرية الكونية الذي تحدث عنه "مارشال ماكلوهان"، ويتجلى تأثيرها في موجات التحرر من كل القيم والضوابط الإنسانية والاجتماعية، وتُعرف المرحلة في أدبيات التراث السوسيولوجي الغربي بالفردانية.

إنّ الفردانية ظاهرة اجتماعية تختص بها بعض المجتمعات الحديثة (لاسيما الصناعية) تقوم على تمجيد الفرد وتقديسه واعتباره وحدة مرجعية أساسية بالنسبة إلى ذاته وإلى مجتمعه، ليكون بذلك محورا للعمليات الاجتماعية ورافق هذا التحرر جملة من التغيرات على مستوى البنية والفعل.

جاء المقال المعنون ب:الفردانية قراءة في المفهوم والتمظهرات كدراسة وصفية لتحديد مفهوم هذه الظاهرة وتحديد طبيعتها وظروف نشأتها، والتعرض لتجذرها النظري في المقاربات النظرية السوسيولوجية، كما تم التطرق إلى أهم تمظهراتها في المجتمعات الغربية والمتمثلة في تفكك الأسرة وانحلالها بالإضافة إلى أهم مظاهر التشيؤ التي يجسدها الإنسان ذو البعد الواحد، والاستهلاك الترفي المنفصل عن القيمة، وكذا الجنس الحر وغيرها من المظاهر.

❖ الفردانية مفهومها وتطورها:

- الفردانية... رصد لدلالات المفهوم: أشار وطفة (2005) أنه لا يوجد تعريف ممتنع لمفهوم الفردانية، كما لا يوجد إجماع على حدوده، وهذا هو معجم "اللاندر" يعلن عن غموض هذه الكلمة وي طرحها في صيغة إشكالية، ويمكن تشبيه هذا المفهوم بالشبح أو الطيف الذي يومض أمام العقل ويفر منه دون أن يترك له فرصة مناسبة للرصد والتحليل، إنه كالسراب الذي يتبدد كلما اشتد العقل في طلبه، فالمفهوم مازال عصيا على التحديد العلمي الكامل، ومازال مشحونا بطاقة إيحائية كبيرة ومتعددة في مختلف مجالات استخدامه.
- لغة: معنى الفرد، الوتر، والجمع أفراد، والفرد نصف زوج، ولا نظير له، أي منقطع القرين لا مثل له، والفرد يعني الاختلاف عن الآخرين، ويتضمن التمييز والخصوصية.

وتشتق كلمة فرد Individu من اللاتينية Individuum وهي تعني الجزء الذي لا يتجزأ ، وهذا يؤسس بأن مفهوم الفردانية يقوم على مبدأ الكينونة التي تمتنع على التجزئة، وفي هذا السياق يبين قاموس "دوزات Dausat" إن هذه الكلمة ظهرت عام 1826 في جريدة "كلوب Glob" الباريسية كنقيض لكلمة اشتراكية Socialisme، ويأخذ مفهوم الفردانية صورته الاشتقاقية من المفهوم اللاتيني Individualism وهذا يعني أن المفهوم يقابل مفهوم الجمعية، و يقارن علماء الاجتماع اليوم بين مفهوم الجمعية Sociabilité وبين مفهوم الفردانية، ويعني مفهوم الجمعية الحالة التي يكون فيها الفرد صورة نسخة متكررة عن الجماعة التي ينتمي إليها، ومن هذا المنطلق يجري الحديث عن الفردانية بوصفها الحالة التي يكون فيها الفرد كيانا مستقلا ومتفردا عن الجماعات التي ينتمي إليها وقادرا على اتخاذ قراراته إستنادا إلى إمكانياته الخاصة وقدراته المستقلة عن أفراد الجماعة الآخرين الذين ينتمي إليهم الفرد.

فالفردانية هي نزعة أو سلوك يؤكد على الخصائص الذاتية للفرد وعلى سماته ومميزاته الخاصة و ذلك بما يتعارض مع ما هو جمعي و عام ومشارك، وهذا يعني أن الفردانية تؤكد ما هو خاص وشخصي ومتفرد أي في النهاية أن الفرد وفقا لمفهوم الفردانية كائن إنساني يمتلك وحداته الداخلية ويؤدي وظيفته كنسق و نظام متكامل و يمتلك إستقلالية خاصة في دائرة الوسط الذي ينتمي إليه (أورد في: وطفة، 2005).

✓ الفردانية اصطلاحاً: مفهوم الفردانية في علم الاجتماع حسب خليل (1984) هو غير مفهوم الفردية كعقيدة أخلاقية، فالمقصود بالفردانية خاصية بعض المجتمعات الحديثة (لاسيما الصناعية)، حيث يعتبر الفرد وحدة مرجعية أساسية بالنسبة إلى ذاته وإلى مجتمعه في وقت واحد أن الفرد حر، وهو الذي يقرر مهنته و يختار شريكته، ويمارس " معتقداته" بكل حرية، ويعبر عن آرائه الخ. أما استقلاليته هذه فهي حالة حقوقية يمكنها ألا تتطابق مع الأحوال الواقعية إلا تطابقاً مثالياً- نظراً لوجود المحظورات الرسمية والعرفية التي تحد عملياً من حرية الفرد واستقلاليته.

ومصطلح الفردانية وفق Taylor (1999) من المفاهيم التي لا يوجد إجماع على حدودها، كما لا يوجد تعريف جامع مانع لها مشتقة من كلمة Individu من اللاتينية Individum: وهي تعني الجزء الذي لا يتجزأ، وضدها الجماعة، والفردانية هي الحالة التي يكون فيها الفرد كياناً مستقلاً ومتفرداً عن الجماعات التي ينتمي إليها، وقادراً على اتخاذ قراراته إستناداً إلى إمكانياته الخاصة وقدراته المستقلة عن أفراد الجماعة التي ينتمي إليها، وترمز الفردانية إلى أن الأفراد بوصفهم أفراداً يستطيعون اختيار طريقة حياتهم وسلوكهم وممارسة عقائدهم، كما ترمز إلى المجتمع الذي يضمن فيه النظام الاجتماعي والقضائي حقوق الأفراد بوصفهم غير مكرهين على التضحية أو التنازل عن أي معتقد من معتقداتهم.

فالفردانية استناداً لكازم (2015) كفكرة أو مفهوم جديد فهي تشير بالدرجة الأساس إلى ما يميز الأفراد ويفرزهم عن الآخرين، وهي لا تنطوي على الكثير من السمات الطبيعية التي يشترك بها الجميع في الولادة بقدر ما تنطوي على إنجازاتهم العقلية والأخلاقية الفريدة ونوع الشخص الذي صاغوا به أنفسهم. وبالتالي فإن الفردانية حسب ما ذكره الكحلاني (2004)، ترفض المساواة التي تعد شعار الأساسى للثورة الفرنسية والثورات الاشتراكية اللاحقة، لأنها ترى أن المساواة تلغي التميز والتقدم، فهي سمة النزعة الجماعية، ولذا فإن الفردانية تدعو إلى تعميق اللامساواة باعتبارها الوسيلة المتاحة للإرتقاء.

في هذا الصدد، يرى "فرونسوا دو سينغلي" أنه لا يمكن للأفراد أن يختلفوا مع بعضهم البعض فقط من خلال الجنس، ذكر أو أنثى، ومن إنسان إلى آخر وبحسب الموقف فقط، فهم

يختلفون أيضا في التعبير عن رغباتهم الجنسية و مواقفهم السياسية، و أذواقهم الأدبية، واتجاهاتهم الدينية والعقائدية (أورد في: De Singly, 2011).

يرى الكحلاني (2004) أن الفردانية هي مبدأ من مبادئ الإيديولوجيا السياسية والاجتماعية، يقوم على الاعتراف بالحقوق المطلقة للفرد، وحرية الفرد واستقلاله عن المجتمع والدولة، وتضع النزعة الفردانية الفرد في مقابل الجماعة، وقد وجدت النزعة الفردية أشد تعبير لها في فلسفة "شترنر" وبصفة خاصة لدى "نيتشه"، وتتمثل لدى الوجودية بأشد صورها و تظهر على نقيضها الاشتراكية فتنشأ نزعة جماعية جديدة في مجتمع لا يعرف إستغلالا أو قهرا سياسيا.

أوضح دي بينوا (2015) أن الفردانية بمعناها الحديث، هي الفلسفة التي تنظر إلى الفرد على أنه الحقيقة الوحيدة، و تعتمد كمبدأ لكل تقويم ، يؤخذ شخص الفرد بالإعتبار، بتجرد عن أي سياق إجتماعي أو ثقافي، في حين أن الشمولية تعبر عن المجتمع القائم بالإستناد إلى المجتمع بحد ذاته، تطرح الفردانية قيمها بشكل مستقل عن المجتمع بالشكل الذي تجده عليه، لذلك لا تعترف بأي وضع وجودي مستقل للمجتمعات، أو الشعوب أو الثقافات أو الأمم، هذه الكيانات، بالنسبة إليها، ليست سوى مجموعات ذرات فردية هي وحدها من تتمتع بقيمة.

أضاف (2011) De Singly أن الفردانية هي نزعة إنسانية فلسفية واجتماعية وسياسية تدعو إلى إحلال عالم مثالي يقلل من حتمية القيود الاجتماعية على الأفراد، وتدعو إلى سيادة نموذج الفرد المستقل والمتحرر الذي بإمكانه أن يعتمد على ذاته ويطور قدراته لإثبات وجوده. كما يتميز الفرد حسب بودلال (2020) في المجتمعات التي تدعم الفردانية بالانفتاح على جميع التوجهات، والسعي وراء الأحاسيس القصوى والبحث عن اللذة، والاعتكاف على الذات والحياة الحميمية، و الانسحاب من مختلف أشكال الالتزام الجماعي التي تقيد، مما يولد لديه انفتاحاً وقبولاً للآخرين واعترافاً بهم في ظل قيم المواطنة، الذي يولد لديهم أيضاً سلوكاً سياسياً وانتخابياً ديمقراطياً، فهو لا ينتصر للجماعة على حساب الأحزاب وبرامجهم الانتخابية، بل يختار ما يخدم المصلحة العامة.

ويشير "عبد الله البريدي" إلى أن الفكر الغربي يكرّس الفردانية بوصفها قيمة عليا للمجتمعات الحديثة، تُمكن الإنسان الغربي من أن يُشكّل "وجوده المشتهي"، وفق طموحاته ومزاجه الخاص بما يتناغم مع حريته المطلقة، حيث وُلد هذا الإنسان وعلى كتفيه عبء القرار الحر، لقد أسهمت هذه الفردانية في تكريس حياة الإنسان لتحقيق مجده الشخصي بأعلى مستويات الحرية، وأشد حالات التنافسية التي تستجيب لجشع السوق و إملأته التي قد تخرج عن دائرة المحتمل أو المعقول أو المقبول، فيعمل فوق طاقته الإنسانية في كل المجالات والطبقات: واصلًا إلى حالة "فاوستيه" في المعرفة، وحالة "داركولية" في الإنتاج والاستثمار، ويسعه في طبقة دنيا أن يرضى باغتراب يجعله مجرد برغي حقيير في مكنة العمل التي تُسمّن رأس المال وتُراكمه (أورد في: البريدي، 2020).

✓ مفهوم الفرد: لقد ظهر الفرد (مفردة) في اللغة العربية الكلاسيكية وفق كاظم (2015) بمعنى (الوتر، والجمع أفرادا وفرادى، والفرد نصف الزوج ولا نظير له)، وتأتي كلمة تفرد بمعنى إنعزل وتميز عن غيره)، والفرد هو المتفرد والتميز عن القطيع أو الجماعة، فتقول أفرد زيد بالأمر تفرد به، وتفرد بالأمر أي كان فيه فردا لا نظير له، وشكل الفرد بوصفه اصطلاحا Individual إنسان أحادي منفرد، ويحوي هذا المفهوم معنى آخر هو الكلية التي لا يمكن تجزئتها إلى مكونات أصغر، فمصطلح فرد Individual باللاتينية Individuum مثل مصطلح Atorr في اليونانية الذي يعني عدم القابلية للتجزئة، أو بمعنى قريب جدا من المعنى الذي يرد في اللغة العربية، بمعنى مالا ينقسم أو ما لا يتجزأ مزيدا من التجزئة، وفيما بعد أصبح الفرد Individuall الذي لا يمكن تفريقه كالرجل وزوجته، على أنه منذ القرن السابع عشر، بدأ يظهر تصور جديد، وأكثر ذرية للفرد بوصفه كيانا مفردا بالضرورة، الجزء الفرد هو ما ينفصل عن الأجزاء الأخرى، وكل كائن إنساني، يحتل جسدا متميزا ومغلقا على ذاته، فهو فرد (كل إنسان في طبيعته النفسية هو ذات فردية واحدة مفردة)، وقد شكلت هذه التغيرات في الاستعمال تغييرا عميقا في فهم الشخص وعلاقاته بالمجتمع.

وجاء في المعجم الفلسفي الذي وضعه "جميل صليبا": الفرد مقابل الزوج، والمفرد مقابل الجمع، والفرد هو المنفرد المتوحد، ومن الناس الشخص الفريد، المنقطع النظير الذي لا مثيل له في صفاته (أورد في: الجباعي، 2013).

أما الفرد وفق المنظور الأنثرو-سوسيولوجي: فيعرف بشكل عام في هذا المجال إستنادا إلى علاقته بالمجتمع و الجماعة، أو بوصفه الوحدة المرجعية الأساسية سواء إليه بالذات أو بالنسبة للمجتمع، بمعنى آخر أنه يعيد إنتاج نفسه على مستوى الذات و الموضوع والعلاقة مع الآخر المجتمعي إستنادا إلى قراراته الذاتية وبالتالي هو الذي يصنع مصيره الخاص وفقا إلى قدرته المتميزة على تغيير عوالمه الذاتية ومن ثم إعادة تشكيل العالم.

أشار كاظم (2015) أن الفرد هو الذي يقرر مهنته و يختار قرينه، ويتحمل بحرية تامة مسؤولية معتقداته وآرائه، ويظهر الفرد بوصف ذلك (الكائن المختلف المتميز والمنفصل عن البقية)، لكن "ستيوارت مل" كان قد حدد الفرد على أنه الذرة المنعزلة ذات الاختيار الحر في مجتمع السوق.

انطلاقا مما سبق يمكننا تعريف الفردانية في موضوع بحثنا حسب ما أوضحت خروبي (2021) بأنها تحرر الفرد من القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية للعائلة ليصبح بذلك هو مصدرا منتجا للقيم، بمعنى آخر هي تحرر الفرد من حتمية النموذج الثقافي التقليدي للعائلة والذي يستمد شرعيته من الدين والعادات والأعراف والتقاليد، ليعتق نموذج ثقافي جديد يقوم على الحرية المطلقة للفرد ويستمد شرعيته من التطورات التكنولوجية المتسارعة والانفتاح على الثقافة الغربية، ومن مؤشراتها: حرية المعتقد الفكري والديني، والسياسي، الإيمان بقدرة العلم، الإعتقاد بمركزية الفرد، حرية إختيار اللباس والمظهر الذي يرغب به، حرية إختيار شريك الحياة، حرية السفر، إختيار طريقة الحياة.

■ **الفردانية ظروف النشأة:** لقد نشأت الاستخدامات الأولى لمصطلح الفردانية وفق لوكاس (2015) عن رد الفعل الأوروبي عامة على الثورة الفرنسية وعلى مصدرها المزعوم فكر التنوير، وكان التلميذان "كلود هنري وسان سيمون" هما أول من إستعمل "الفردية" بشكل نسقي في منتصف 1820، وقد شارك "سان سيمون" أفكار مفكري الثورات المضادة.

في القرن الثامن عشر، أوضح زيمل (2017) أن فلسفة الفردانية كانت تعبر عن نفسها في شعار الثورة الفرنسية "حرية، مساواة، أخوة" فقد أدى الشكل الاجتماعي المرفوض للنظام القديم (ديكتاتورية القرن ال18) إلى المثل الأعلى للحرية الفردية باعتبارها الحالة الطبيعية للإنسان. وفي مراحل لاحقة وجد مفهوم الفردانية نفسه في حقل الرعاية الفلسفية الإنجليزية

عند "هوبز Hobbes" و "لوك Lock" و "آدم سميث Smith" الذين كانوا في طليعة المفكرين الذين تناولوا مفهوم الفردانية بالدراسة والتحليل، وهم في دائرة طروحاتهم كانوا ينظرون إلى الإنسان في دائرة تفرده ويقابلون بينه وبين الدولة. وفي مجرى القرن التاسع عشر بدأت الفردانية تزدهر وتحقق فتوحاتها الفكرية في مجال الفن وفي مجال الأدب الرومانتيكي الذي شكل الحقل الأكثر أهمية في مجال الإبداع الفردي، وقد تبلورت هذه الفردانية في المستوى الإقتصادي والاجتماعي مع الإنتصار المتنامي للرأسمالية والطبقة البورجوازية الذي بلغ أشده في القرن التاسع عشر، ومع أهمية التقدم الذي حقته الفردانية إلا أنها بقيت تواجه فيض القيم والأفكار المناهضة لها مثل: التابو والمحرم وميتافيزياء التفكير وعقليات ما قبل الحداثة (أورد في: وطفة (2015)).

وقد تضخمت الفردية في القرن العشرين نتيجة الفلسفات الطاغية للحركات الحداثية الاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية، ثم تعاظمت مع التشكلات الحداثية المعاصرة، ويمكن عد كتاب الأمريكي "جونثان رابان" "المدينة الناعمة" المنشور عام 1974 تأريخا جديدا لحداثة جديدة قامت على نوع جديد مشكل للمدينة، قائم من جيل فريد من الموظفين وأصحاب المهن، حياتهم غير مستقرة ومتغيرة باستمرار، فطبعت المدينة حياتهم طابعا يعبر عن مضمونها في التغيير والتبدل والطموح اللامحدود والسطحية والشفافية، وانعكس ذلك على الأسرة والعلاقات الاجتماعية ونوع المعمار واللباس والأكل وكل شيء في نمط الحياة (أورد في: معيمش (2015)). ولذا فقد كانت الفردانية ثورة إنسانية أرادت إعادة الإنسان إلى التاريخ بعد أن أستبعد تماما، فدعت إلى التميز والتفرد، والعزلة، ورفضت المساواة التي تعمل على تشابه الأفراد وتمائلهم ورأت أن المساواة تتضمن القضاء على إمكانية إرتقاء الجنس البشري وتقدمه، لأن المساواة ترفض التعدد وتؤمن بالوحدة، وحاربت الفردانية التوجه الديمقراطي انطلاقا من رفضها لأي شكل من أشكال العبودية ضد الإنسان، ورأت أن الديمقراطية تعني سيطرة الأغلبية على الأقلية، ولذا فإنها تشكل عبودية جديدة أكثر من عبودية الفرد المستبد، وحذرت من سيطرة الروح العامة و الرأي العام، لكونه متقلبا لا يملك الحقيقة ولا يصنعها بل تأتي إليه عبر وسائل الإعلام. وهكذا بعد أن أدانت الفردانية كل أشكال الإغتراب التي يعاني منها الفرد، اوضح الكحلاني (2004) أنه دعت إلى تحرره وإلى تأكيد ذاته، فرأت أن الحقيقة ذاتية وليست موضوعية، وأن الفرد هو صانع التاريخ، وهو المبدع، ونادت بالحرية ورفض كل أشكال

العبودية، عبودية المجتمع أو الرأي العام أو الدولة... إلخ كما نادى بإرادة القوة التي هي إرادة الحياة، وهي إرادة فردية.

❖ المقاربات السوسولوجية حول الفردانية : يرى الكحلاني (2004) أن الاشتراكية

الماركسية لا تعبر اهتماما لدور الفرد المبدع، بل تؤكد دور الجماهير وديكتاتوريتها، لهذا نرى مصطلحات الفن الشعبي و الإبداع العام بدلا من الإبداع الفردي. وقد إفتتحت الماركسية حسب معيمش (2015) مشروع العقل الغربي بهدم بنیان الأسرة وفقا لمبدئهم القائل بخضوع البنى الفوقية للبنى التحتية (أو أسبقية المادة) والواقع على المبدأ والفكر، ومن ثمة فإن الباعث الاقتصادي يصبح أساس النزعات الإنسانية، ولذا وجد الماركسيون أن الأسرة ظاهرة إقتصادية شأنها شأن كل ظواهر الحياة التي فسرتها الماركسية على أساس إقتصادي، فالأسرة بزعم الماركسية نشأت بدافع اقتصادي، إذ لجأت المرأة إلى الرجل لأنها لا تقوى على الصيد، فعاشت معه مقابل توفير احتياجاتها، وفي زمن تستطيع المرأة ذلك فلا حاجة للأسرة ولا ضرورة للزواج، وبإمكان كل من الأنثى والذكر إشباع غرائزهم كما تشبع الحيوانات غرائزها، بل ترى الشيوعية أن هدم الأسرة ضرورة من ضرورات الانتقال إلى المجتمع الشيوعي.

كما أشار "دوركايم" في كتابه تقسيم العمل بأنه تظهر الأطروحة الرئيسية على أساس أن تطور الفردية يكون بالفعل نتيجة للتعقيد المتنامي لتقسيم العمل، حيث يبين أن تطور المجتمعات يأخذ طابع الانتقال من التكامل الاجتماعي الآلي إلى التكامل العضوي، وذلك عبر عملية تقسيم العمل المستمرة. وفي هذا السياق يوضح أن التكامل في المجتمعات الأولية أو البدائية يأخذ طابع التكامل الآلي. فالفرد صورة طبق الأصل نسخة مكررة عن شخصية القبيلة أو المجتمع الذي ينتمي إليه، وذلك بأفكاره وأسلوب تصوره للحياة ونمط حياته، وهذا بالطبع يعود إلى أنماط الحياة الاقتصادية البسيطة جدا التي تعتمد على الصيد أو الرعي أو الزراعة البسيطة، وجميع أفراد القبيلة يمارسون العمل نفسه وأنماط الإنتاج والسلوك عينها. وهذا يعني وجود نوع من التكامل الآلي في داخل هذه المجتمعات. ومع تطور أساليب الإنتاج والعمل وظهور التخصصات يتفرد كل شخص في القبيلة باختصاصات معينة مثل التجارة والصناعة وتربية الحيوان والعمل الثقافي والمهني ويبدأ معها أفراد المجتمع بالتمايز ثقافيا وفكريا وسيكولوجيا ويبدأ المجتمع مرحلة جديدة يعتمد فيها على التكامل العضوي بين مختلف

الوظائف الجديدة أو مع تقسيمات العمل، وهذه هي سمة المجتمعات العصرية أو الحديثة (أورد في: وطفة (2015).

والمجتمع الحديث بالنسبة "لدوركايم" هو ذلك المجتمع الذي تتمايز بنياته و أفعال الأفراد و معتقداتهم فيه ، إنه المجتمع الذي يقوم على تقسيم كثيف وكبير للعمل الاجتماعي بكل ما تحمله الكلمة من معاني، في السياسة والاقتصاد والثقافة ، في المعامل والمصانع و مؤسسات الدولة ، إنه المجتمع الذي تضعف فيه العلاقات الأولية مقابل إنتعاش كبير للعلاقات الثانوية و اللاشخصانية بالأساس إنه كذلك المجتمع الذي تتحول فيه التربية إلى شأن عام و تحل فيه المدرسة مكان الأسرة ، و تصبح فيه الدولة المسؤول الأول عن عملية التنشئة الاجتماعية، أن المجتمع الحديث من حيث تنوع الأعراف و الديانات و الثقافات يجعل من الدين و الأسرة كمؤسسات تربية، مؤسسات فاشلة بل مانعة للتربية، أما البعد الثالث في المجتمع الحديث كما تمثله "دوركايم" فيظهر في خروج الدين من المجال العمومي، بل و إنسحابه من المجتمع بشكل عام بسبب تقدم المعرفة العلمية التي ستصبح السجل الأول لكل المعارف و المعاني التي يستعملها الأفراد لفهم العالم و تحليله (أورد في: إبراهيم، 2016).

أشار وطفة (2012) أن الفرد في هذه المجتمعات الحديثة يمتلك خصوصيته و إتجاهاته وفرديته على خلاف المجتمعات التقليدية التي تتطابق فيها شخصية الجماعة مع شخصية أفرادها وتغيب الفردية و الخصوصية، و هذا يعني أن الروابط في المجتمعات البدائية تأخذ صورة روابط دموية قرابية جمعية، بينما تأخذ طابعا ثقافيا فرديا في المجتمعات الحديثة أو المعاصرة. وفي المستوى الذهني يمكن القول بأن العقلية التي تسود في الجماعات الأولية أو القديمة هي عقلية القطيع وعلى خلاف ذلك تسود العقلية الفردية في المجتمعات التي حققت تقدمها الاجتماعي.

ويلاحظ "زيل" أن هناك توترا جدليا وديناميكيا بين الفرد والمجتمع: فالأفراد عقول حرة و مبدعة، لكنهم يشكلون جزءا من عملية الاجتماع، كانت هذه العلاقة تثير قلقا فكريا لدى "زيل" حيث كان يرى أن المجتمع الحديث يحرر الفرد من القيود التاريخية والتقليدية ويخلق أفرادا أكثر حرية، لكن هؤلاء الأفراد يختبرون إستلابا كبيرا داخل ثقافة الحياة الحضرية، فأعمق مشاكل الحياة الحديثة تصدر حسب رأيه من طموح الفرد إلى الحفاظ على وجوده المستقل

وشخصيته الفردية في مواجهة سيطرة القوى الاجتماعية والثقافة الخارجية والهيمنة التكنولوجية (أورد في: زيمل، 2017).

ويطرح زيمل (2017) ثلاث فرضيات حول علاقة الفرد بالمجتمع:

- يوجد الأفراد داخل المجتمع وخارجه، فالفرد يعيش لنفسه وللمجتمع في الوقت ذاته.
- مثل الأفراد في آن واحد مواضيع و نواتا داخل شبكات التفاعل.
- ميل الأفراد إلى تحقيق نواتهم ويسعون إلى إمتلاك صورة ذاتية كاملة، لكن المجتمع يحاول أن يقحم نفسه حتى وإن كان مفعول ذلك يتعارض مع الكمال الفردي. كما يبين "زيمل" في كتابه " فلسفة النقد" بماذا يشارك انتشار النقود في ظهور الحرية الفردية، وفي الواقع من خلال كيانها كمعادل عام، فهي الملكية الوحيدة التي تسمح بكل الاستخدامات، إن كمية من النقود تتيح لي إمكانية الحصول على الحلي أو الكتب التي تتاسبني في حين أن هذه الممتلكات ذاتها لا تتيح سوى خيار محدود من الاستخدامات، ومن جهة أخرى إن التحول النقدي للاقتصاد سمح بتحرير العمل من الوصاية المشخصة (مثلما كانت العبودية)، وبالمرور إلى ضغط غير شخصي (مثل وضع الأجيرين) للنقود إذن آثار تحريرية .. حتى ولو كان المأجور الذي تحرر من الوصاية المشخصة قد خضع بعدئذ إلى تقلبات سوق العمل، كما يهتم زيمل بعد ذلك بإظهار التأثيرات المتناقضة للنقود على العلاقات البشرية، وهو يرى أن التحول النقدي للعلاقات الاجتماعية قد ساهم بإنطلاق الفردية (أورد في: كابان ودورتيه، 2010).

❖ **تمظهرات الفردانية في المجتمعات الغربية:** بين "جيل لييوفتسكي" أنه مع قدوم الفردانية المعاصرة لم تعد المؤسسات التقليدية: الكنيسة الإيديولوجيات، الجماعة، الأسرة، هي التي تحدد سلوكيات الأفراد وتوجه خياراتهم، بل أصبحت خاضعة لإرادة الأفراد أنفسهم، وأن الأسرة لم تعد تتمتع بتلك السلطة التقليدية في تحديد خيارات الأولاد وتوجه سلوكياتهم، ولم يعد الزواج بالإكراه بل أصبح يستند إلى الحرية الشخصية، كما أن العلاقات الجنسية التي كانت مقيدة في مرحلة الحداثة وماقبلها أصبحت في المجتمعات الغربية المعاصرة مباحة ولا تحتكم سوى للحرية الشخصية، لقد تم تحرير الجسد من سلطة المجتمع ورقابته ليصبح الجسد

بالخصوص جسد المرأة ملك نفسها ولها كامل الحرية في التصرف فيه، وكان الجنس في السابق لا يمارس إلا في الأطر التي يحددها المجتمع ووفق عاداته وتقاليده (أورد في: كرام، 2021).

■ **تفكك الأسرة وظهور مؤسسات بديلة:** أوضح دي بينوا (2015) أن أهم ما يلفت النظر في العصر الحديث هو الدعوة إلى إلغاء الأسرة كمؤسسة اجتماعية، وهذه الدعوة صادرة عن اتجاهات في الفلسفة الاجتماعية دعت إلى تغيير الأوضاع البورجوازية في أوروبا ومنها الماركسية والوجودية والنقدية والراديكالية بشكل عام، وكانت هذه الدعوات كلها ناتجة عن التطورات الفكرية والعقائدية التي نتجت بدورها عن عوامل عديدة في تاريخ أوروبا مثل انحلال القيم القديمة التي كانت موجودة في العصور الوسطى، عصر ظلم الباباوات ورجال الدين ثم الإقطاع والبورجوازية المتحكمة، يضاف إلى ذلك التطور الصناعي الذي أدى إلى تفسخ الأسرة ، إذ قاد الكثير من الفلاسفة والباحثين في الغرب حملة ضد فكرة الأسرة وهي حملة إمتدت منذ ظهور الرأسمالية كنظام اقتصادي واجتماعي وثقافي، هذا النظام الذي إقتنع بأن الرأسمالية لا تنمو ولا تزدهر في ظل وجود النظام العائلي التقليدي، وهكذا قاد بعضهم أمثال " سارتر" و"سيمون دو بوفوار" الحملة ضد الأسرة ، وتوالت محاربة الأسرة من طرف مختلف المختصين كل في مجاله، فالاقتصاديون الرأسماليون يرون بأنها معيقة لنظام الإنتاج الرأسمالي، ويرى المختصون في علم السكان بأن كثرة الإنجاب يهدد الحياة الاجتماعية السعيدة والإنجاب الكثير قنبلة مؤقتة (أورد في: قاسمي، 2013) ، وأضاف دوبار (د.س) أنه لم يعد النموذج التقليدي للأسرة (ثنائي متزوج مع أطفال) النموذج الوحيد الشائع، ولم يعد معيار الأسرة (الذي يمكن أيضا أن يتطور) المعيار الوحيد الممكن ، إذ خرجت الأسرة ما بعد الحداثية حسب بوحناش (2016) من الواجب إلى الرغبة في الشهوة وذلك بسبب تفكك العلاقات، وتغير الغايات من وجود كل أسرة إنسانية، فلم تعد هناك روابط بين أعضائها، خاصة أن هذه الأسرة قد تطورت عن مجموع إنفصالات، الإنفصال الأول عن عقد الزواج المقدس الذي تباركه الكنيسة، والإنفصال الثاني عن العقد المدني حيث تحرر الزوجان من كل مسؤولية أسرية، ولتتعد العلاقة بسرعة وتنفك بسرعة، يفعلها منطلق الحب الجنسي الزائل، ونتج عن تفكك الأسرة وفق منصور (2015) نشوء التجمعات السكانية في المدن الجديدة المزدهمة بالسكان ونشوء أوقات فراغ طويلة بسبب التقدم التكنولوجي الهائل، وفي ظل هذه الظروف نشأت مشاعر الإغتراب

والقلق التي أدت بالعقل إلى محاولة التغيير في المجتمع عن طريق تحطيم كل المؤسسات القديمة بما تحمله من قيم ثار عليها ليتخلص منها، فكانت الدعوات المختلفة إلى إيجاد مؤسسات بديلة للأسرة تتمثل في بلدية (Communes) التي تتكون من مجموعات من الجنسين، وهي تجمعات توصف بأنها تبحث عن الحرية والأمن، وتريد أن تتخلص من تحكم المجتمع وأن البلديات إنتشرت في الولايات المتحدة حيث بلغ عددها 2000 (ألفي بلدية) سنة 1970، وفي اليابان 300 كيميون، و في هولندا نحو 200 بلدية، وإنكلترا 300 بلدية.

كما برزت أشكال أخرى للأسرة حسب بوحناش (2016) وهذا ما تشهد عليه حالات الأسر الفردية، حيث تعيش أم عازبة مع مجموعة من أطفال يجهلون آبائهم، وأشار بك وغرنزهام (2014) أنه ظهر الخليل المؤقت عوضا عن الزوج، وكثرت الأمهات أو الآباء الذين يعيشون حياة منعزلة بعضهم عن بعض وبحوزتهم أطفال لم يبلغوا سن النضج، كما ظهرت الأسر المختلطة كنتيجة لتعدد الزواج والطلاق، وقد تبين من تتبع هذه الأسر، أن هناك أزمة هوية، وخواء عاطفي وإغتراب إجتماعي عند هؤلاء الأطفال، أما " عبد الوهاب المسيري" فيرى: أنه في الولايات المتحدة يسمون الأسرة النووية " الأسرة الأساسية" (بالإنجليزية: كور فاميلي corefamily) ويشيرون إلى أنماط أخرى من الأسر، ويلاحظ أن هذه الأسرة أصبحت أقلية، إذ توجد أنواع أخرى، مثل: أب بمفرده مع أطفاله- أم بمفردها مع أطفالها- أب وعشيقة مع أطفاله/أو أطفالها أو أطفالهما- أم وعشيقة مع أطفالها/ أو أطفاله أو أطفالهما- أم وصديقتها مع أطفالها أو أطفالهما- أب وصديقه مع أطفاله أو أطفالهما، وقد قرأنا منذ عدة شهور عن أسرة من نوع الكور فاميلي الثابت الراسخ، إلا أن تعديلا طفيفا دخل عليه إذ انضم للأسرة عشيق الأب ووافقت الأم على ذلك، وأصبح تركيب الأسرة على النحو التالي: أم وأب وصديقه وأطفالهم (أورد في: المسيري، 2006).

■ **الإنسان ذو البعد الواحد:** في كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد one dimensional man" صاغ "ماركيوز" افتراضات أساسية، كشف فيها طبيعة التركيب السياسي القائم في المجتمعات الصناعية وتسلط وسائل الإعلام، وقد وصف المجتمع الصناعي بأنه عالم تسوده الاستبدادية الكلية، ليس فقط لأن لديه القدرة على القضاء على أي محاولة لمعارضته ونفيه فحسب، وليس فقط لأنه قادر أيضا على استثمار وتعبئة جميع طاقات الإنسان الجسدية والروحية، وجميع القوى الاجتماعية للذود عنه و حمايته، بمن فيهم ضحاياه، فالإنسان ذو البعد الواحد في نظر

"ماركيوز" هو "الذي استغنى عن الحرية بوهم الحرية، وإذا كان هذا الإنسان يتوهم بأنه حر لمجرد انه يستطيع أن يختار بين تشكيلة كبيرة من البضائع والخدمات التي يكفلها له المجتمع لتلبية حاجاته، فهو شبيه بالعبد الذي توهم انه حر بمجرد أن منحت له حرية اختيار سادته" (أورد في: عماد، 2017). كما يعرفه "جلال أمين" رجل الشارع البسيط، المحدود الثقافة والتعليم، العادي الذكاء، المحدود الطموح، إلا فيما يتعلق بما يمكن أن يحوزه من سلع، ترضيه القصة البسيطة غير المعقدة، ويستهو به تتبع أفلام الجريمة، وأخبار الفضائح والكوارث مادامت تحدث لغيره، يحب السباحة، وأن يشاهد متحف اللوفر وأهرامات مصر، ولكن لا صبر له على معرفة التاريخ أو التعمق فيه، يفرح بالسيارة الكبيرة كما يفرح الأطفال، ويقبل أكثر ما يتلقاه عن طريق التلفزيون أو الجرائد اليومية دون أي شك في صحة ما يسمع أو يقرأ" (أورد في: المسيري والعظمة، 2000).

فالإنسان العصري حسب علواني (2018) وحيد وخائف، إنه حر، لكنه يخشى هذه الحرية، فضلا عن إنها أصلا حرية مؤطرة ومحددة بما هو متاح من بضائع يمكنه إستهلاكها، إنه حقا يعيش في حالة " الأنوميا" على حد تعبير " إيميل دوركايم"، وعليه فهذا الإنسان المعاصر يتسم بالتمزق والاستسلام، حتى أنه لم يعد فردا بل بات ذرة، كان حلم هذا الإنسان قديما أن يمسي فردا تام الأركان كامل الوجود، سوى أنه أمسى ذرة تافهة يلقي بها هنا وهناك. بينما يعتبره "جيل لييوفتسكي" انه الإنسان البارد واللامبالي، ويرى أن الإنسان البارد ليس هو ذلك المنحط المتشائم عند "نيتشه" ولا ذلك العامل المضطهد عند "ماركس"، بل هو أكثر شبها بالمشاهد الذي يحاول رؤية برامج الماء الواحد تلو الآخر، وبالمستهلك الذي يملأ عربة التسوق الخاصة به، وبالمستعطل المتردد بين قضاء العطلة في الشواطئ الإسبانية أو في مصطاف كورسيكا، لقد ترك الاغتراب الذي تعهده ماركس بالتحليل والمترتب عن مكننة العمل مكانه لفتور ناتج عن حقل الممكنات الذي يصيب بالدوار والخدمة الذاتية المععمة، وهكذا بدأت اللامبالاة الخالصة والمتحررة من البؤس و" فقد الحس بالواقع" اللذين ارتبطا بالمراحل الأولى من التصنيع، ويرى "جيل لييوفتسكي" أن الإنسان اللامبالي لا يتمسك بشيء ولا يملك يقينا مطلقا، ويكون في إنتظار كل شيء وتكون آراؤه عرضة للتغيرات السريعة، وهو الإنسان الذي يعيش الحاضر ولا شيء غير الحاضر، ولم يعد يرغب أن يعيش وفقا للماضي والمستقبل، و" فقدان معنى الاستمرارية التاريخية"، ويتآكل لديه الإحساس بالانتماء إلى " سلسلة من الأجيال

المتجذرة في الماضي والممتدة في المستقبل" هو الذي يميز المجتمع النرجسي - ما بعد الحداثي - ويخرجه إلى الوجود، وهو الإنسان الذي يعيش من أجل نفسه دون الاكتراث لتقاليد، ويهجر القيم والمؤسسات الاجتماعية (أورد في: لبيوفتسكي، 2018).

ويمارس المجتمع ذو البعد الواحد وهو المجتمع البرجوازي، تزيف هوية ووعي أفراد من خلال إستبدال الرقابة الخارجية المفروضة بنوع من الرقابة الداخلية المستتبهة، والمجتمع الصناعي لم يزيّف حاجات الإنسان المادية فحسب، بل زيف أيضا حاجاته الفكرية، حيث يمثل الفكر عدوا لدودا لمجتمع السيطرة لأنه يمثل قوة العقل النقدية.

ويذكر "ماركيوز" أن وسائل تزيف الوعي في المجتمعات الصناعية المتقدمة قد تعاضم خطرها، حيث تلعب ثقافة المجتمع التكنولوجي دورا هاما في تزويد الفرد بضمير مرتاح سعيد، أي أحادي البعد، فمن خلال القدرة الهائلة لتكنولوجيا الاتصال الجماهيري، أصبحت لديها القدرة على التخفيف من حدة التناقض بين الواقع الثقافي والواقع الاجتماعي من خلال دمج قيم الأول بالثاني، وإعادة توزيعها على نطاق تجاري واسع (أورد في: عماد، 2017).

■ **الاستهلاك الترفي المنفصل عن القيمة:** يرى بكيس وزروقي (2018) أن ثقافة الاستهلاك هي قيمة اجتماعية ، والقيمة هي الشعور الذي يقيم به الفرد الشيء أو الظاهرة، حيث تشكل القيم مقاييس توجه سلوكنا اليومي، ونعتمدها في إصدار الأحكام، والمقارنات، والاختيار بين البدائل المتوفرة، والمناهج والوسائل، والغايات والأهداف المنشودة، ومن القيم تستمد المعايير والأعراف والعادات والتقاليد المتبعة في المجتمع"، لذلك بتغير تقييم الأفراد للأشياء والوقائع والظواهر يتغير تدريجيا المجتمع، وثقافة الاستهلاك هي قيمة متغيرة، بحسب التطورات والتغيرات الاجتماعية، وهي تعبير عن شعور الفرد بالحاجة وكيفية تقييمه للكثير من السلوكيات الإستهلاكية.

أشار المسيري (2002) أنه من المسلمات الميتافيزيقية في النظرية الاقتصادية الغربية نظرية الاستهلاك، التي تذهب إلى " أن هدف المستهلك هو تعظيم الإشباع أو المنفعة، فإذا سألت عن ماهية هذا الإشباع قيل لك: لا شيء.. غير ما يقرر المستهلك انه يريد، فهم إذن قد قبلوا ذلك كمسلمة من المسلمات، وهربوا إلينا مذهب الفردية بل نوعا من الإباحية، بمعنى

أن كل ما ترغب فيه هو أمر مشروع، أو على الأقل ليس من وظيفة الاقتصادي الاعتراض عليه، ولا يمكن مساءلة المستهلك عن القيمة الأخلاقية أو الاجتماعية لما يريد".

ويرى أصحاب النظرية النقدية وفق علواني (2018) أن أسباب التشيؤ والإغتراب ترجع إلى النظام الاقتصادي الرأسمالي، فعلاقات الإنتاج والسوق الرأسمالية هي المسؤولة عن عبادة السلع وصنميتها التي أضفت على علاقات الناس بالأشياء وبيعهم البعض طابع السلعة والتأليل.

يقوم المجتمع الاستهلاكي على وعد بإشباع الرغبات البشرية بما يفوق ما كان بإمكان المجتمعات الماضية كافة أن تشبعه أو تحلم بإشباعه، ولكن وعد الإشباع لا يحتفظ بسحره إلا بعدم الإشباع، والتشكك في الإشباع الحقيقي والكامل للرغبة، فتحديد أهداف متواضعة، وضمان الوصول إلى الأشياء التي تحقق الأهداف، والاعتقاد بوجود حدود موضوعية للرغبات " الواقعية" و " الحقيقية"، كل ذلك يمثل نذيرا بنهاية المجتمع الاستهلاكي، أما عدم إشباع الرغبات، ووجود اعتقاد راسخ دائم بأن كل فرد يرمي إلى إشباعها يفسح المجال لما يمكن أن نرغب فيه ونحسسه ونجده، فهو محرك الاقتصاد المتمركز حول الاستهلاك.

وأوضح باومان (2016) أنه بوسع المجتمع الاستهلاكي استدامة عدم الإشباع من خلال الحط من قيمة السلع الاستهلاكية بعد فترة قصيرة من ترويجها في عالم رغبات المستهلك، وثمة طريقة أخرى خفية أكثر فاعلية تتمثل في إشباع كل حاجة/رغبة/ أمنية، فما يبدأ رغبة لا بد من أن ينتهي إكراها أو إدمانا....

لا يمثل "مجتمع المستهلكين" المجموع الكلي للمستهلكين فحسب، بل انه كليه على حد تعبير إميل دوركايم، " تفوق مجموع أجزائها" انه مجتمع (وفق فعل قديم حظي بشهرة بفضل لوي ألتوسير) يستجوب أعضائه باعتبارهم مستهلكين في المقام الأول والأخير، انه مجتمع يحكم على أعضائه وقيمهم بما لديهم من قدرة استهلاكية وما يتبعونه من سلوك استهلاكي (أورد في: باومان، 2016).

يتجاوز "مجتمع المستهلكين" حسب نفس الباحث التعبير المحدود عن اللذة التي يجدها المستهلكون في التسوق، ومن ثم بذل وقت وجهد كبيرين في تعظيم ملذات التسوق، بل انه

يعني أيضا أن النظر إلى أركان الظرف الاجتماعي و الأفعال كافة التي تستدعيها وتؤطرها تحكمه " متلازمة إستهلاكية " للميول الإدراكية والتقويمية، فسياسة الحياة بما في ذلك السياسة الكبرى وسياسة العلاقات بين الأفراد، عادة ما يعاد تشكيلها على غرار وسائل الاستهلاك وموضوعاته ووفق الخطوط التي ترسمها "المتلازمة الاستهلاكية".

▪ **صناعة الثقافة و ظهور المواطن العالمي:** يمكن تحليل ثقافة الاستهلاك في إطار أعمال مدرسة فرانكفورت خاصة " أدرنو وهوركهايمر وماركوز"، وكذا أعمال " جورج لوكاش" في تحليلاتهم لظاهرة السيولة الثقافية التي تقوم على المنطق السلعي والقيم الاستهلاكية التي تغري الجماهير وتجذبهم نحو الشراء وبصفة خاصة الاستخدام الأمثل للرأسمالية في اختراق الأدب والفن والأزياء للتقريب بين الثقافة الراقية والثقافة الجماهيرية، وهو ما يسمى بصناعة الثقافة الاستهلاكية (أورد في: حرفي، 2009).

لقد غدت الشركات المتنافسة على السوق استنادا لعماد (2017) لا تتبع المنتجات بل الرموز، بحيث لم تعد المنافسة قائمة على أساس نوعية البضاعة ومتانتها وجمالها وجدتها، بل أضحت المسألة مرتبطة بالصورة والانتماء الرمزي، وهكذا يصبح اقتناء البضاعة والمنتجات إنتماءا وهميا لهويات رمزية *symbolic identity* تتفوق على القيمة بحد ذاتها، وهذا ما يفسر إنفاق المبالغ الخيالية على الإعلان الذي يهدف ليس فقط إلى التنافس على السوق بل أيضا إلى "التلاعب بالرموز وتوظيف الأوهام والخيال و الإغراء بالاستهلاك بما يحو التمييز بين الصورة والواقع".

وقد وصل الأمر إلى حد تصور ولادة هوية عالمية، حيث يتصرف فيها المواطن الكوزموبوليتاني، بهذه الصفة، وقد عبر "أولف هانز" عن هذه الفكرة بشكل جيد حين وصف المواطنة الكوزموبوليتانية بأنها منظور أو حالة ذهنية أو أسلوب لتدبير المعنى، والمواطن العالمي حسب "هانز" يتمتع بحس لا يوجد فيه آخرون، ويرتبط بنوع من الاحتفاء وبالاختلاف الثقافي والانفتاح على الخبرات المتباينة في هذا المجال (أورد في: عماد، 2017).

▪ **تطبيع الجنس و إنفصاله عن القيمة:** أشار حرفي (2009) أنه حتى عام 1965 كان الموقف الغربي من الجنس لا يختلف كثيرا عن موقفنا، بل وكان أكثر منا محافظة في بعض الأحيان، ثم بدأ التحول وبدأت حركة الجنس المرسل أو ما يسمونه " الحب الحر " free

lover، كلمة love أي حب في اللغة الإنجليزية كلمة مبهمة، فهناك to fall in love أي يضاجع أنثى، على كل بدأ التحول منذ ذلك التاريخ فتزايدت المجالات والأفلام الإباحية، و لكن الآلية الكبرى للتغير كانت التلفاز، فمن خلال برمجة الجادة والكوميديا، ومن خلال الإعلانات، قام بتطبيع الجنس وجعله شيئاً عادياً.

ولعل انفصال الجنس عن الحب و العاطفة وعن الإحساس بالتواصل حسب نفس الباحث يؤدي إلى عدم الارتواء وإلى زيادة السعار الجنسي. إنه يعود إلى عدة أسباب، لعل من أهمها التوجه الحاد نحو اللذة pleasure orientation الذي صاحبه ظهور الإنسان الملتف حول ذاته ومصالحته لذته، والذي يجد خلاصة في الاستهلاك واللذة، فلا يطيق أي حدود أو قيود، أو مسؤولية، ولذا فهو غير قادر على إرجاء تحقيق رغباته (يقال لها بالإنجليزية: ديلايد جراتفكيشن (delayed gratification)، فهو يود أن يحققها في التو (الآن وهنا).

ومثل هذا الفرد المكتفي بذاته لا يمكنه أن يقبل مؤسسة الأسرة، فهي مؤسسة تلقي على كاهله (كآب وكأم) مسؤوليات اجتماعية شتى، وتقرض عليه حدوداً، عليه أن يقبلها، وهو من الصعب عليه أن يفعل، فهو يعيش لنفسه ولمتعبته وفائدته و لذته، ولذا تضرر الأسرة تماماً، ولعله لهذا يزداد العزوف عن النسل والزواج، مع ازدياد الإحساس بأن الأسرة عبئ لا يطاق وأن مسؤولية تنشئة الأطفال تفوق طاقة البشر، وقد ظهر هذا الفرد الاستهلاكي مع تصدع الأسرة واختفائها التدريجي، فالأسرة الحيز الوحيد الذي يمكن للإنسان فيه أن يرجئ الإشباع فيه بطريقة إنسانية، فالأم تفهم ابنتها، والأب يفهم ابنه، والأصدقاء يتحدثون معا فلا تكون المسألة عملية " قمع" وإنما تكون عملية " إرجاء"، باختصار إن اختفاء مؤسسة الأسرة يؤدي إلى تزايد السعار الجنسي (أورد في: حرفي، 2009).

ويسميه "المسيري" أيضا " الجنس الفوري" وهو تعبير عن انفصال الجنس عن القيمة ، وهو ابن اللحظة التي يتحقق فيها ولا يتجاوزها يعبر عن رغبة الإنسان في أن يشبع رغباته الجنسية في أي وقت، ومع أي شخص خارج إطار أي تركيبة إنسانية خاصة بالعواطف والطمأنينة وخارج إطار القيم والمثاليات الأخلاقية والاجتماعية(أورد في: المسيري، 2006)، لكن الملاحظ وفق لبيوفتسكي وسيرو (2012) أن الجنس، الآن يتخطى التصنيف إكس، في العصر الذي ندخله، فهو يظهر في أنقى المنتجات الهوليودية، التي ظلت لفترة طويلة محكومة بهذه القوانين

الصارمة والمتزمتة، التي كانت تقيس اتساع فتحة صدر الفستان وتحظر أي صورة للمناطق الحميمة المشعرة.. فالشهوة تجتاح كل مكان: وحاليا يحتوي كل فيلم يصون ماء وجهه على مشهد جنسي ويتناول الشهوة في لقطة مكبرة، تدريجيا ما كان مصنفا في الخانة إكس أصبح عملة شائعة، التبادل، اللواط، الجماع، الاستمناء، الممارسة الفموية، وممارسات فموية ذاتية تمارس بشكل مباشر.

■ **الشبكات الإجتماعية و تشيؤ ما تبقى من قيم إنسانية:** أوضح غودار (2019) أن الشبكات الإجتماعية ومواقع التواصل (مثل تويتر وفايسبوك وإنستاجرام) هي مجرد مواقع للقاء الافتراضي وتبادل الآراء، Forums لا أكثر، فيها يتكون " عقل جمعي" من خلال المنشورات المتتابعة، هذا الفكر التراكمي السريع الذي يبلور - بسرعة وبدقة- موضوعا محددًا، نجح في اختصار مسيرة طويلة كان تبادل الفكر فيها يتطلب أجيالا من التفاعل (المناظرات والخطابات والمراسلات والكتب والنشر والتوزيع والقراءة والنقد ونقد النقد)، ورغم كل هذه الفرص، فقد نجحت هذه المواقع في "ترميز التافهين" كما يقال أي تحويلهم إلى رموز. أهم ما يميز هذه التجمعات الافتراضية هي أنها متاحة للأفراد الذين يريدون المشاركة في أحد أنماطها "قالمدينة الافتراضية" على حد قول " مايكل جانيكسون" و" ألبيرتا روبرت ": "مدينة لا تنام فهناك دائما أفراد مشتركون في التفاعلات الافتراضية، حتى منتصف الليل، ولا غرابة في ذلك، فلقد أصبح الأنترنت بشكل عام جزءا من حياة الناس والجماعات الافتراضية بأنماطها المختلفة باتت تشكل أهمية للعديد من المهتمين بالأنترنت على وجه خاص"، فالمواطن اليوم الذي يتراوح عمره ما بين 10 و35 سنة مسكون بالأنترنت، ويتغذى من الثقافة الرقمية ما يتيح إمكانية الحديث عن " مواطن الشبكة" و"المواطن المدون" و"المواطن/الصحفي"، وبالطبع فبروز " المواطن المتصل بالأنترنت" و"المفرط في الاتصال بالنترنت"، يطرح أسئلة جوهرية بطبيعة هذا الربط والوصل وآثاره ونتائجه الفردية والجماعية؟ (أورد في: العطري، 2018).

ويشير " عبد الرحيم العطري" في هذا الصدد إلى أنه ثمة مفاهيم جديدة باتت تحت لنفسها خطاطات تداولية في المفكر واللامفكر فيه، وباتت تمارس ثقلا رمزيا و ماديا على الأفراد والجماعات، من بين هذه المفاهيم مفهوم "الكائن الإلكتروني"، هذا المفهوم الذي بات يواصل تجذير مكانته في صياغة التمثلات والعلاقات والممارسات على حساب الكائن

الاجتماعي، فالإنسان اليوم لا يتحقق انتمائه في كثير من الأنساق إلا بفضل رساميل إلكترونية، وشخصيات وأسماء مستعارة وبريد إلكتروني، ونصوص مترابطة... بمعنى الحضور الإلكتروني والإفتراضي هو ما يمنح الحضور الواقعي. ويمكن إستبدال "الكوجيتو الديكارتية": أنا أفكر، أنا موجود، بكوجيتو جديد: أنا أبحر في النت، أنا موجود، أو بهكذا توصيف"، أنا في الافتراضي أنا في الواقعي" (أورد في: العطري، 2018).

وترى غودار (2019) أن هذه ميزة ما يطلق عليه جيل Z، الجيل الذي ولد بعد 1995 والذي لم يعرف في أغلبيته إلا في القرن العشرين، لقد كبروا في قلب تطورات تكنولوجيا المعلومات والتواصل في زمن WWW إن هذا الجيل السيبراني هو جيل الوسائط النيتية (net) والإفتراضية. وما يميز حسب العطري (2018) أن أغلب شباب هذا الجيل المبحرين أنهم لا يلتحقون بالعوالم الافتراضية بحثا عن المعرفة وتوسيع دوائر النقاش، والإفادة من ثمرات القارة السابعة، بل يرغبون في تحقيق الحراك الاجتماعي عن طريق الماسنجر أو إثباع الرغبات الممنوعة عن طريق مواقع الجنس. ففي سنة 2005 ظهرت كلمة مركزية هي السيكستينغ Sexting، وهي كلمة مركبة من sexe (الجنس)، و Texting (بعث رسائل قصيرة)، إن السيكستينغ أو السيكستو هو رسالة إلكترونية - ترسل في الغالب من سمارتفون إلى سمارتفون - يكون مضمونها برونوغرافيا أو جنسيا، و يمكن كتابة السيكستينغ، و لكنه يرى في الغالب كما يذكر ذلك الباحثان الأمريكيان " سامير هوندوجا" و"جوستان باتشين" المنتميان إلى مركز الأبحاث في السبرانية، فهما يحذران من هذه الممارسة: يتعلق الأمر فعلا برؤية الجنس و التقليل من الحدود الفاصلة بين الحميمي واللاحميمي، وهو أيضا مجازفة خطيرة، ذلك أن هذه الصور الفاضحة يمكن أن تنشر في الشبكة وتسيء لأصحابها، بل قد تكون وسيلة لإبتزازهم (أورد في: غودار، 2019).

وما يمكن ملاحظته في مجتمعنا هو إدمان ما أطلقت عليه "إلزا غودار" جيل z الفضاءات الافتراضية، كما لا يمكن أن نغفل عن السيكستينغ كممارسة افتراضية وذلك من خلال تصفحنا المستمر وإطلاعنا على بعض الفضائح الناتجة عن ذلك ومعايشتنا للواقع الاجتماعي وما ينتج عن ذلك من تفكك للأسرة كالطلاق وكل مظاهر العنف والجريمة ضمن ما يسمى بجرائم الشرف (أورد في: خروبي، 2021).

❖ **خاتمة:** أهم ما يمكن استخلاصه من هذا البحث حسب خروبي (2021) أن الفردانية كظاهرة اجتماعية برزت في المجتمعات الغربية نتيجة تحرر العقل من سلطة الدين والقيم والضوابط الأخلاقية، وهي وليدة الحداثة أو كمظهر من مظاهرها وترافق أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التطورات التي تعرفها المجتمعات الغربية. كما نستنتج من البحث أن الفردانية ضد الجماعية وتدعو إلى التميز والتفرد، والعزلة، وتشجع على المنافسة الحرة والاختلاف الخلاق وترفض المساواة التي تعمل على تشابه الأفراد وتمثالهم، لأن المساواة ترفض التعدد وتؤمن بالوحدة، ولهذا نجد أن مفهوم الفرد في التراث السوسيولوجي ظهر بالموازاة مع بروز الفردانية كظاهرة اجتماعية وهذا ما تبين لنا من خلال المقاربات السوسيولوجية حول هذه الظاهرة.

فإذا كانت الاشتراكية الماركسية لم تعر إهتماما لدور الفرد المبدع، بل كانت تؤكد دور الجماهير وديكتاتوريتها، فإن "دوركايم" يرى بأنه تظهر الأطروحة الرئيسية على أساس أن تطور الفردية يكون بالفعل نتيجة للتعقيد المتنامي لتقسيم العمل وأن المجتمع الحديث بالنسبة "لدوركايم" هو ذلك المجتمع الذي تتمايز بنياته وأفعال الأفراد ومعتقداتهم فيه وتتمو فيه العلاقات الثانوية وتنتعش مقابل العلاقات الأولية، كما يؤكد "زيمل" أن هناك علاقة جدلية بين الفرد والمجتمع: فالأفراد عقول حرة ومبدعة، لكنهم يشكلون جزءا من عملية الإجماع، كانت هذه العلاقة تثير قلقا فكريا لدى "زيمل" حيث كان يرى أن المجتمع الحديث يحرر الفرد من القيود التاريخية والتقليدية ويخلق أفرادا أكثر حرية.

ومن أهم تمظهرات الفردانية في المجتمعات الغربية تفكيك المؤسسة الأسرية وإعادة صياغتها بما يتماشى ويساهم في تطوير النظام الرأسمالي هذا ما يذهب إليه " دافيد كوبر"، وتنامي النزعة الإستهلاكية المفرطة وتحول الثقافة إلى صناعة حسب ما أشار إليه منظرو مدرسة فرانكفورت، وإنفلت الفرد من البنى الاجتماعية وتمحوره حول ذاته وتحقيق رغباته المادية والجنسية وهذا ما أشار إليه " ماركيزوز" في دراسته حول الإنسان ذو البعد الواحد. كما تشير إلى الإبداع والقدرة على المنافسة، وتمكين الإنسان من حقوقه، والمساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات وغيرها من المؤشرات التي تعتبر مؤشرات إيجابية، ومقبولة في المجتمعات

الغربية، غير أن هذا الحكم قد يختلف نهائياً إذا نظرنا إليها بمنظور قيمي وأخلاقي (أورد في: خروبي، 2021).

❖ قائمة المراجع:

1. إبراهيم، زكرياء (2016). إميل دوركايم والتأسيس السوسولوجي للحدثة. مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤسسة الدراسات والأبحاث الرباط-المغرب.
2. البريدي، عبد الله (2020). لماذا نختلف في "هلع الشراء" في الأزمات - كورونا أمودجاً؟ كوجيتو "أنا متعاقد، إذن أنا موجود. مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤسسة الدراسات والأبحاث، الرباط-المغرب..
3. الجباعي، جاد الكريم (2013). حدثة بلا حدود- في حرية الفرد. الجزائر: الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع.
4. العطري، عبد الرحيم (2018). سوسولوجيا الحياة اليومية: الرمزي أفقا للتفكير. دفاثر العلوم الإنسانية، المغرب: مطبعة وراقه بلال.
5. الكحلاني، حسن (2004). الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر. القاهرة: مكتبة مديولي.
6. المسيري، عبد الوهاب (2002). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. القاهرة: دار الشروق.
7. المسيري، عبد الوهاب (2006). دراسات معرفية في الحدثة الغربية. القاهرة: مكتبة الشرق الدولية.
8. المسيري عبد الوهاب والعظمة عزيز. (200). العلمانية تحت المجهر، دمشق: دار الفكر المعاصر.
9. باومان، زيجمونت (2016). الحياة السائلة. ترجمة حجاج أبو جبر. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
10. بكيس، نور الدين ورزقي، نوال (2018). كيف تصبح مواطناً سينا في الجزائر؟ 15 سبب معطل للمواطنة بالجزائر. الجزائر: سارة للنشر.
11. بك أولريش و بك إليزابيت - غرنزهايم(2014)، الحب عن بعد أنماط حياتية في عصر العولمة، الطبعة الأولى، ترجمة حسام الدين بدر، بيروت: منشورات الجمل.
12. بوحناش، نورة (2016). الإجهاد وجد لا لحدثة. الجزائر: منشورات الإختلاف.
13. بودلال، عبدالرحيم (2020). الفردانية مدخل لقياس التغيير الاجتماعي في المغرب. مؤمنون بلا حدود، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، مؤسسة الدراسات والأبحاث الرباط-المغرب.
14. حرفي، سوزان (2009). الثقافة والمنهج: حوارت مع عبد الوهاب المسيري. دمشق: دار الفكر.
15. خروبي مفيدة (2021). تنامي ظاهرة الفردانية في العائلة الجزائرية، تشكل الهوية بين الإلتناء والإنفصالية. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع العائلي، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر.
16. خليل، احمد خليل (1984). المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع. بيروت: دار الحدثة للطباعة والنشر والتوزيع.
17. ديبينا، آلان (2015). نقد الإيديولوجية الليبرالية. ترجمة رشا طاهر، مجلة الإستغراب، ص ص 144-165
18. دويار كلود. (2008)، أزمة الهويات تفسير تحول. ترجمة زنده بعث، الطبعة الأولى، لبنان: المكتبة الشرقية .
19. زيمل، جورج (2017). الفرد والمجتمع المشكلات الأساسية للسوسولوجي. ترجمة حسن أحجيج. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
20. عماد، عبد الغني (2017). سوسولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
21. علواني محمد. (14 أبريل 2018). صناعة الثقافة وذبول الفرد في المجتمع الحديث، على الرابط: <https://cutt.us/wIjMN> على الساعة 23:39.
22. 18- غودار إنزا، أنا أوسيلفي. (2019). إذن أنا موجود: تحولات الأنا في العصر الافتراضي، ترجمة سعيد بنكراد، الطبعة الأولى، المغرب: المركز الثقافي للكتاب.
23. 18- كابان، فليب ودورتيه، جانفرونسو (2010). علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات. ترجمة إياح حسن. سوريا: دار الفرقد.
24. كاظم، علاء جواد (2015). الفردانية في المجتمع التقليدي الجذور والتحديات: دراسة في الأنثروبولوجيا الحدثة. مجلة الآداب، العدد 111، 545-588.

خروبي مفيدة

25. كرام، ياسين (2021). الفردانية عند جيل لبيوفتسكي من الحداثة إلى ما بعد الحداثة. أطروحة دكتوراه علوم تخصص فلسفة ، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 02-، الجزائر.
26. قاسمي ناصر. (2013). سوسولوجيا العائلة والتغيير الاجتماعي. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الكتاب الحديث.
27. 21- لوكاس ، ستيفن (2015). الفردية، ترجمة فريال حسن خليفة. القاهرة: دار الفكر العربي.
28. لبيوفتسكي، جيل (2018). عصر الفراغ: الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة. ترجمة حافظ إدوخراز. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات.
29. لبيوفتسكي، جيل، وسيرو، جان (2012). شاشة العالم: ثقافة- وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة. ترجمة راوية صادق. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
30. معميش ، عز الدين (2015). منظومة القيم الأسرية في الفكر الغربي الحديث رؤية تحليلية نقدية. كتاب جماعي: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
31. وطفة، أسعد علي (2005). الإغتراب والأنسنة في مفهوم الفردانية: المغامرة الفكرية الفردانية في الثقافة الغربية. مجلة تعريب، 15(28)، 129-153.
32. وطفة، أسعد علي (2012). المضامين الحداثية للفردانية. الرابط <https://annabaa.org/nbanews/2012/03/155.htm>.
33. De singly, F.(2011). L'individualisme est un humanisme. Paris: éditions de l'Aube.
34. Taylor, C. (1999). Les malaises de la modernité. Paris: C.E.R.F.